شرح قصيدة فتح عمورية

تعتبر هذه القَصيدَة من أشهر قصائد الشاعر أبي تمام، فقد كتب الشاعر القصيدة بمناسبة فتح الجيوش الإسلامية بقيادة الخليفة العباسي المعتصم مدينة عمورية، وقد قال في مطلعها: السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ، وهي قصيدة طويلة كتبها الشاعر على البحر البسيط وقافية الباء المكسورة، ويبلغ عدد أبيات القصيدة كاملة 71 بيتًا فقط، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شَرح القَصيدة:

السَيفُ أَصدَقُ أَنباءً مِنَ الكُتُبِ
في حَدِّهِ الحَدُّ بَينَ الجِدِّ وَاللَعِبِ
بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ في
مُتونِهِنَّ جَلاءُ الشَكِّ وَالرِيَبِ

يبدأ الشاعر قصيدته بحكمة عظيمة تتناسب مع الأحوال والظروف التي كتب فيها هذه القصيدة إذ يقول: إنَّ السيف في كثير من الأحيان من يكون أصدق من الكلام الموجود في الكتب، وفعله أقوى وأكثر من جدوى من كل الأحاديث، حيث أنَّ حدَّ السيف هو الفاصل الذي يفصل بين اللهو والجد وبين الحق والباطل، وهذه السيوف التي يحملها المسلمون بيضاء ناصعة بالبطولات والأفعال العظيمة التي قاموا بها، وفي شفراتها ما يزيل كل شك ويثبت ويوضح الحقيقة، بخلاف الصفحات السوداء التي تتضمن كلامًا بعيدًا عن الحقيقة.

وَالعِلمُ في شُهُبِ الأَرماحِ لامِعَةً
بَينَ الخَميسَينِ لا في السَبعَةِ الشُهُبِ
أَينَ الرِوايَةُ بَل أَينَ النُجومُ وَما
صاغوهُ مِن زُخرُفٍ فيها وَمِن كَذِبِ

وإنَّ الحقيقة المؤكدة هي التي تلوح في رؤوس الرماح والسيوف وسط التقاء الجيوش الجرارة واستعار المعارك واشتدادها، لا تلك المعلومات التي يتنبأ بها أصحاب التنجيم والفلك، والآن بعد أن حققت السيوف النصر والفتح المبين أين أصبح رواة تلك الأخبار المنجمون وأين النجوم التي اعتمدوا عليها في تأويلاتهم وأكاذيبهم.

فَتحُ الفُتوحِ تَعالى أَن يُحيطَ بِهِ
نَظمٌ مِنَ الشِعرِ أَو نَثرٌ مِنَ الخُطَبِ
فَتحٌ تَفَتَّحُ أَبوابُ السَماءِ لَهُ
وَتَبرُزُ الأَرضُ في أَثوابِها القُشُبِ

إنَّ هذا الفتح العظيم فتح مدينة عمورية هو أعظم الفتوحات في الوقت الحالي، ويعجز عن وصفه وإعطائه حقه أي نظم من الشعر أو من النثر، وليس هنالك كلام يمكن أن يعطيه مكانته التي يستحقها، فهو فتح مبارك من الله تعالى تفتح أبواب السماء له أمام الشهداء وقبول هذا العمل العظيم، كما أنَّ الأرض قد فرحت كثيرًا به وارتدت أجمل أثوابها الخضراء.

يا يَومَ وَقعَةِ عَمّورِيَّةَ اِنصَرَفَت
مِنكَ المُنى حُفَّلاً مَعسولَةَ الحَلَبِ
أَبقَيتَ جَدَّ بَني الإِسلامِ في صَعَدٍ
وَالمُشرِكينَ وَدارَ الشِركِ في صَبَبِ

يا أيها اليوم المبارك يوم فتح مدينة عمورية، لقد حققنا المنى في هذا اليوم وغادرتنا أمانينا وهي تحتفل بهذا النصر العظيم الذي يعود علينا جميعًا بالخير والبركات كما تحتفل الناقة بلبنها الكثير الحلو، فقد جعلتَ يا أيها اليوم مجد الإسلام والمسلمين يرتفع أعلى وأعلى، ودفعته للمضي إلى أعالي المجد، بينما قضيت على الشرك والمشركين وأنزلتهم أسفل سافلين.

لَقَد تَرَكتَ أَميرَ المُؤمِنينَ بِها
لِلنارِ يَوماً ذَليلَ الصَخرِ وَالخَشَبِ
غادَرتَ فيها بَهيمَ اللَيلِ وَهوَ ضُحىً
يَشُلُّهُ وَسطَها صُبحٌ مِنَ اللَهَبِ

يوجه الشاعر الخطاب هنا إلى أمير المؤمنين المعتصم بالله العباسي فيقول له: يا أمير المؤمنين لقد تركت مدينة عمورية في ذلك اليوم وقد حققت النصر المؤزر وأحرقت كل الشيء حتى الصخور فيها احترقت، وقد غادرتها ليلًا وقد تحول الليل إلى نهار من شدة وهول المعارك والنيران الملتهبة، وكان اللهب المنتشر يطرد الظلمة وكأنه فجر جديد يطلع وسط المدينة.

لَو لَم يَقُد جَحفَلاً يَومَ الوَغى لَغَدا
مِن نَفسِهِ وَحدَها في جَحفَلٍ لَجِبِ
رَمى بِكَ اللَهُ بُرجَيها فَهَدَّمَها
وَلَو رَمى بِكَ غَيرُ اللَهِ لَم يُصِبِ

لو أنَّ أمير المؤمنين لم يتولى قيادة هذا الجيش الجرار من أجل مواجهة الأعداء لمضى وحيدًا وكان وحده جيشًا جرارًا لا يهاب الموت، فقد اختارك الله تعالى ورمى بك أبراج المدينة وهدمها، ولو لم يختارك الله تعالى لم يتحقق النصر لأنَّ النصر دائمًا من عند الله تعالى يؤتيه من يشاء.

تِسعونَ أَلفاً كَآسادِ الشَرى نَضِجَت
جُلودُهُم قَبلَ نُضجِ التينِ وَالعِنَبِ
يا رُبَّ حَوباءَ حينَ اِجتُثَّ دابِرُهُم
طابَت وَلَو ضُمِّخَت بِالمِسكِ لَم تَطِبِ

لقد كان جيش المسلمين تسعين ألف مقاتل مثل أسود الغابات الكاسرة قد اشتدت عزائمهم ونضجت همتهم للقتال والهجوم على الأعداء قبل أن ينضج التين والعنب، في إشارة إلى أنَ الروم كان مكتوب لديهم أن المدينة تفتح في الصيف وقت نضج التين والعنب، ولكن المعتصم خالفهم وفتحها قبل ذلك في الشتاء، وقد تعجب النفسُ بما حدث من اجتثاث الروم عن بكرة أبيهم ويطيب لها ذلك، رغم أنَّ ذلك الاجتثاث في غير موقف لن يطيب حتى لو رشَّ عليه المسك.

خَليفَةَ اللهِ جازى اللهُ سَعيَكَ عَن
جُرثومَةِ الدينِ وَالإِسلامِ وَالحَسَبِ
أَبقَت بَني الأَصفَرِ المِمراضِ كاسِمِهِمُ
صُفرَ الوُجوهِ وَجَلَّت أَوجُهَ العَرَبِ

جزاك الله تعالى خيرًا يا أمير المؤمنين على سعيك الذي قمت به من أجل حماية الدين الإسلامي وحماية العرب وتاريخهم ونضالهم العظيم، وقد تركت وجوه الروم شاحبة مصفرة من الهزيمة النكراء التي تعرضوا لها، وبيضت وجوه العرب بهذا النصر العظيم.

الصور الفنية في قصيدة فتح عمورية

تضمُّ قصيدة أبي تمام في فتح عموريَّة العديد من الصور الفنية والبلاغية والتي يعتمد عليها معظم الشعراء في كتابة قصائدهم وأشعارهم، لأنَّ تلك الصور تعمل على إضفاء موسيقى لغوية خاصة في القصيدة إضافة إلى ألوان بلاغية مختلفة لتزيين الأبيات الشعرية، وتساهم أيضًا في وصول القراء إلى المعاني بطرق فنية غير مباشرة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج أهم الصور الفنية والبلاغية في القصيدَة:

- **أسلوب الكناية**: ورد أسلوب الكناية أكثر من مرة في القصيدة في قول الشاعر: وَالعِلمُ في شُهُبِ الأَرماحِ لامِعَةٌ بَينَ الخَميسَينِ لا في السَبعَةِ الشُهُبِ، كنَّى الشاعر بهذه الجملة عن أنَّ الأخبار الحقيقية تصنعها السيوف لا أخبار التنجيم.
- **أسلوب الجناس**: ورد الجناس في قول الشاعر: بيضُ الصَفائِحِ لا سودُ الصَحائِفِ، فقد جاءت كلمة صفائح وكلمة صحائف، وهو جناس غير تام بسبب تغيير ترتيب بعض الأحرف بين الكلمتين.
- **تشبيه مجمل**: ورد هذا التشبيه في قوله: تِسعونَ أَلفاً كَآسادِ الشَرى، حيث شبَّه تسعون ألف من الجنود بالآساد، فالتسعون ألفًا هم المشبه، وآساد الشرى هم المشبه به، والكاف أداة التشبيه وحذف وجه الشبه.
- **أسلوب الطباق**: ورد أسلوب الطباق في القصيدة في قول الشاعر: أَبقَيتَ جَدَّ بَني الإِسلامِ في صَعَدٍ وَالمُشرِكينَ وَدارَ الشِركِ في صَبَبِ، فكلمة صعد عكس كلمة صبب في المعنى.

معاني المفردات الصعبة في قصيدة فتح عمورية

توجد العديد من الكلمات الصعبة بالنسبة لمعظم القراء العرب في قصائد الشعر العربي وخصوصًا في الشعر الجاهلي والعصور الإسلامية بعده، حيث أنَّ بعض الكلمات لم تعُد مستخدمة في الوقت الحالي نتيجة تطور اللغة العربية والتغيرات التي طرأت عليها عبر مئات السنينن، فلا بدَّ من البحث عن تلك الكلمات في معاجم اللغة العربية للوصول إلى معانيها الدقيقة، وفيما يأتي سوف يتم إدراج شرح المفردات الصعبة في القصيدة:

المفردة	شرح المفردة
متونهنَّ	من المتن وهو
جلاء	بيان وانكشاف
الخميس	الجيش العظيم الجرار
القشُب	جمع قشيب جديد ونظيف
جدَّ	مجد وأساس

صعد	صعود وارتفاع
صبب	نزول وهبوط
بهيم	أسود
جحفل	جيش كبير
لجب	يشكو حظه
آساد الشرى	أسود الشرى، والشرى موضع تنسب إليه الأسود
جرثومة	أصل الشيء ومصدره